﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا ١٣١﴾

[النساء: 131]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تعقيب ذِكْرِ الفُرقة بين الزَّوجين بذكر سَعَةِ مُلك الله ترغيبًا في سؤاله وتذكيرًا بعظيم إفضاله

لَمَّا ذكر تعالى آية التّفرُّق وختمها بذكر صِفَتَي السَّعة والحكمة وكرر الحث على التقوى في هذه الجمل في سياق الشرط بقوله: ﴿وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [النساء: 128] ﴿وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [النساء: 129] ناسب أن تأتي هه الآية ببيان سعة ملك الله تعالى، وأنَّ وصيَّته بالتَّقوى مؤكَّدة، فالذي له ما في السَّماوات وما في الأَرض قادرٌ على أن يُغنيَ كلَّ أحدٍ من سَعَتِهِ فلا يتعذر عليه الإغناء بعد الفرقة، ولا الإيناس بعد الوحشة، فجاءت هذه الآية للتَّنبيه على كمال سعة ملك الله وعظم قدرته وعلى أنَّ الأهمَّ هو التّقوى[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَصَّيۡنَا﴾: أمرنا وعهدنا، يُقال: وصّيتُه توصية، وأوصيته إيصاءً: عَهِدْت إليه، والوصيَّة التَّقدُّم إلى الغير بما يَعمل به مُقترنًا بوعظٍ، والوصيَّة من الله فَرْضٌ لأنَّها عهد وتكليف وإلزام، وأصل (وَصى) يدلُّ على وَصْلِ شيءٍ بشيءٍ، والوصيَّة من هذا القياس، كأنَّه كلام يُوصَى أي يُوْصَلُ، والمعنى هنا: ولقد أمرنا أهل الكتاب، وأمرناكم وقلنا لكم ولهم[2].

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرر: 5/426، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/219.

(2) ابن سيده، المحكم: (وأص)، والسَّمين، عُمدة الحُفَّاظ، وابن فارس، مقاييس اللُّغة، والزَّبيديّ، تاج العروس، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (وصى)، وابن جرير، جامع البيان: 9/295.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

الله سبحانه هو المالك لخلقه، متصرِّفٌ فيهم بالأمر والنَّهي، غَنِيٌّ عنهم ومع غِناه عنهم يَحْمَدُ إيمانهم

ولله وحدَه مُلك ما في السَّماوات وما في الأرض ومُلك ما بينهما، ولقد عَهِدنا إلى أهل الكتاب من اليهود والنَّصارى، وعَهِدنا إليكم بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وبيَّنَّا لكم أنَّكم إن تجحدوا وحدانيَّة الله تعالى وشرعه فإنَّه سبحانه غني عنكم، لأنَّ له جميع ما في السَّموات والأرض، وكان الله غنيًّا عن خَلْقِه، حميدًا في صفاته وأفعاله ومع كونه غَنِيًّا عنكم يَحْمَدُ لكم إيمانكم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة واو الاستئناف في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾:

بيان عِظَمِ سلطان الله الموجب لطاعته وتقواه

لمّا كانت الواو استئنافيَّةً دلَّت على أنَّ الجملة مستأنَفةٌ، فهي منبِّهةٌ على كمالِ سَعتِه، وعِظَم قُدرتِه، وهذا تمجيد لله تعالى، وتذكير بأنّه ربّ العالمين، وكناية عن عظيم سلطانه واستحقاقِه للتَّقوى[2].

بلاغة التّغليبِ في قوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾:

تغليب غير العاقل من المخلوقات لِكونهم أكثر الموجودات

جاء بلفظ ﴿مَا﴾ التي لغيرِ العاقل تغليبًا لما لا يعقل على مَنْ يعقل؛ لأنَّ الغالب فيما حوته السَّماوات والأرض إنَّما هو جماد وحيوان، لا يعقل، وأجناس ذلك كثيرة، وأما العاقل فأجناسه قليلة إذ هي ثلاثة: إنسٌ وجنٌّ وملائكة[3].

بلاغة تقديم المسند في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

تدلُّ اللَّام في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ﴾ على الاختصاص بطريق الخلق والمُلْكِ[4]، وقد أُكِّدَ هذا الاختصاص بتقديم المسندِ (لله)؛

(1) لجنة من عُلماءِ الأزهر، المنتخَبُ في تفسير القرآنِ الكريم، ص: 134، ونُخْبة من أساتذة التَّفسير، التَّفسير المُيَسَّر، ص: 99، وجماعَةٌ من علماء التَّفسير، المختَصَر في تفسير القرآن الكريم، ص: 99.

(2) أبو السُّعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/240، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/219 - 221.

(3) ابن عطِيَّة المحرِّر الوجيز: 1/389، وأبو حيّان، البحر المُحيط: 2/750.

(4) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/165، والقونويّ، حاشية القونويّ: 5/494.

الذي يُفيد الحصر، فهي للّه خَلْقًا ومُلكا، لا لغيره أصلا؛ لا استقلالا ولا اشتراكًا، وأكّده أيضا بالتّكرار في قوله: ﴿وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ تفصيلًا وتنبيهًا وتوكيدًا[1]، وبالطِّباق بين لفظتَي ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ و﴿ٱلْأَرْضِ﴾.

تـأكـيـد قـصـر واختصاص الملك والخلق لله رب العالمين

نكتة التّعبير بـ﴿مَا﴾:

لمّا كانت ﴿مَا﴾ اسمًا موصولًا أعمَّ من (الذي) عُبِّر بها لمناسبة سَعَةِ ملكِه تعالى وعظمتِه.

دلالة تخصيص ذكر السّماوات والأرض دون سائر المخلوقات:

التّخصيص والتّقديم للدّلالة على التّعظيم

خَصَّ النَّظمُ الكريم السَّماوات والأَرض بالذِّكر من بين المخلوقات؛ لأنَّها أعظم ما يُرَى من المخلوقات، وقَدَّمَ السَّماوات لعِظَمِهَا[2].

بلاغة الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾:

تعظيمُ أمرِ الوصيّة بالتّقوى والمبادرةُ إلى العملِ بها

سُلِكَ الكلامُ أوّل الآية على الغيبة فقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ للإشعارِ بأنّ الملك متعلّق بالألوهيَّة، ثمَّ عدلَ إلى التكلّم فقال: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾ بنونِ تعظيم المتكلِّم؛ لاستدرارِ سمع المخاطبين، ولبيانِ عظم الوصيَّة، وللمبادرة إلى العملِ بها، ثمَّ عاد إلى الغيبة فقال: ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾؛ للإيذانِ بأنَّ التَّقوى متعلّقةٌ باللّه وحده وأنّها من أمرِ الألوهيَّة، أي الذي لا يطاق انتقامه؛ لأنَّه لا كفؤَ له، ففي ذكر الاسم الجليل مع التّقوى إجلالٌ وتعظيمٌ وتخويف.

دلالة قولِه تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا﴾:

أداءُ حقـــوقِ النِّـــساء من التَّقوى

أكّد الكلامَ بـ(اللام) الموطِّئة للقسمِ و(قد)؛ للإشعارِ بأنَّه لم يزل يوصي بفعل الخير، ولتأكيد العهد بالوصيّة، ولكيلا يتوهّمَ أحدٌ أنَّ ما تقدَّم من أحكامِ النّساء ليس فيه خيرٌ، وأنَّ أداء الحقوقِ والواجبات من التّقوى.

(1) أبو حيّان، البحر المُحيط: 2/767.
(2) أبو حيّان، البحرُ المُحيط: 2/750.

سِرُّ التَّعبير بالوصيَّة بَدَلَ الأمر بالتَّقوى:

الوصيَّة تتضمّنُ جـوامـعَ الـخير الكثير

جعل الأمرَ بالتَّقوى وصيةً؛ لأنَّ الوصيَّة قولٌ يتضمّنُ جوامعَ الخير الكثير، معَ إيجازِ القول مع الاهتمامِ بحفظها وأدائها؛ إذْ يُقصد منها وَعْيُ السَّامع، واستحضارُه كلمة الوصيَّة في سائر أحواله، والتَّقوى تجمع الخيرات؛ لأنَّها امتثال الأوامر واجتناب المناهي، ولذلك قالوا: ما تَكَرَّرَ لفظٌ - غير الأعلام كاسم الله - في القرآن ما تكرَّر لفظ التَّقوى[1].

دلالة التّعبيرِ بالاسم الموصول في قوله: ﴿وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾:

إيـتـاءُ الـكـتـاب مـن الـلـه سببٌ للتَّقوى

عُبِّر بالاسم الموصول؛ لِيكون إحضاره في ذهن السّامع بوساطة جملة الصِّلة ﴿أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ التي يُعلمُ انتسابُها إلى معيَّن؛ للإيماء إلى وجه الأمر بالتّقوى، والمعنى إيتاءُ الكتاب من الله سببٌ للتَّقوى، والكتابُ اسم للجنس يتناول الكتب السماوية كلَّها[2].

دلالة تقديم ذكر أهل الكتاب بالوصيَّة:

إلـهـاب هِـمَـمِ الـمـسـلـمـين لـلإقـبـال عـلـى الـتَّـقـوى وتحقيقِها أسوة بمن سبقهم

الإخبار بأنّ الله أوصى الذين أوتوا الكتاب من قبلُ بالتَّقوى مقصودٌ منه إلهاب هِمَمِ المسلمين للتَّهَمُّم بتقوى الله؛ لئلَّا تَفْضُلَهُم الأممُ الذين من قبلهم من أهل الكتاب، فإنَّ لِلتَّأسِّي أثرًا بالغًا في النُّفوس، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: 183]؛ لأنَّ العلم بالمُشاركة في الأمر يَكون أدعى للقبول، وأهون على النَّفس[3].

فائدة بناء الفعل للمفعول في إيتاء الكتاب:

بُنِيَ الفعل ﴿أُوتُواْ﴾ للمفعول؛ لأنَّ القصد بيان كونهم أهلَ علم

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/220.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/573.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/220، والبِقاعيّ، نظم الدرر: 5/426.

الاعتناء بشأن العلم في كونه مُحققًا للتّقوى

ليُرغِّبَ فيما أوصوا به، ودلالة على أنَّ العلم في نفسهِ مُهَيئٌ للقبول، ولإفادة أنَّ وصيتهم أعمُّ من أن تكون في الكتاب، أو على لسان الرَّسول من غير كتاب[1].

نكتة العطف في قوله: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾:

الوصيَّةَ بالتَّقوى قديمة ما زال يوصى اللّه بها عباده

للإشعارِ بأنّ الوصيَّةَ بالتَّقوى قديمة ما زال يوصى اللّه بها عباده، فلستم بها مخصوصين، والمعنى: ووصَّيناكم مثلَ ما وصَّيناهم؛ لأنَّ النّاسَ بالتَّقوى يُسعدون عنده، وبها ينالون النَّجاة في العاقبة[2].

دلالة ﴿أَنِ﴾ في قولِه تعالى: ﴿أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾:

تأكيدُ العمل بالتّقوى

لمّا كانت التَّوصيةُ في معنى القول دلَّ على أنَّ (أنْ) مفسِّرةٌ للإجمالِ الذي تضمّنه لفظ ﴿وَصَّيْنَا﴾[3]، فكأنَّ تقوى اللّه مضمّنةٌ في لفظ ﴿وَصَّيْنَا﴾، ثمَّ ذكرها مرَّةً أخرى تفصيلًا، لزيادة تقريرِ المعنى وتأكيدِه.

سِرُّ بناء الشَّرط بـ﴿وَإِن﴾ الشرطية في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾:

استبعاد تَصَوُّر الكفر ممَّن أدرك سَعة ملك الله وغِناه

بُنِيَ الشَّرط بـ (إنْ) لاستبعاد تَصَوُّر الكفر عن أي إنسان عاقل يُدرك بوعيه وحِسِّه أنَّه - سبحانه - مالك الملكوت الغَني عن عباده الذي لا يَضُرُّه كُفْرُ خلقه ولا معاصيهم، والذي تصريف أمور خَلْقِهِ بيده - سبحانه - وله ما في السَّماوات وما في الأرض.

بلاغة التّعبير بين التّخصيص والتّغليب في قولِهِ: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾:

أمّة القرآن هي الأولى بالتّقوى

يُحتمَلُ أنْ يكونَ الخطاب لِمَنْ وَقَعَ لَهُ الْخِطَابُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِيَّاكُمْ﴾، وَهُمْ هَذِهِ الْأُمَّةُ، فيفيد تخصيص الخطاب بالمخاطبين من أمَّة تنزيل القرآن وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ شَامِلًا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَلِلْمُخَاطَبِينَ،

(1) البِقاعيّ، نظم الدرر: 5/427.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/574، والبِقاعيّ، نظم الدرر: 5/427.
(3) الزمخشري، الكشاف: 1/574.

فيكون فيه بلاغة التّغليب؛ لتنبيه أمّة التّنزيل بأنّهم هم الأولى بأنْ يتّقوا الله[1].

نكتة التّعبير بالكفر في مقابلة التّقوى في قوله: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ﴾:

أساسُ التّقوى الإيمانُ باللهِ ورسلِه

لمّا قابل الكفر بالأمر بالتّقوى، دلَّ على أنَّ التّقوى المأمورَ بها هنا منظورٌ فيها إلى أساسِها، وهو الإيمانُ باللّه ورُسُله وما فيها من جوامعِ الخير، أي باعتبارِ المجموع؛ للإشعارِ بأنَّ تركَ العملِ بالتّقوى بمجموعِها موجبٌ للكفرِ، وأنَّ أساسَ التّقوى الإيمانُ باللّه وبرسلِه.

بلاغة الإيجاز بالحذف في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾:

الاكتفاء بتعليل الجواب كناية عن كمال غناه عن خلقه

تقدير الجواب المحذوف: (وإن تكفروا فإن اللّه غني عن تقواك وإيمانكم، فإنَّ له ما في السَّماوات وما في الأرض)، ولكن اكتُفِيَ في الآية بتعليل الجواب: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ عنه؛ لتهويل الجزاء وتفخيمه، وللإيذان بأنّه تعالى لا يتضرَّرُ بعصيان من يعصونه، والتّقدير إن تكفروا فاعلموا أنَّ للّه ما في السماوات وما في الأرض، ولم يذكر (فاعلموا) لإثبات الوصف سواءٌ علموا أو لم يعلموا، ليكون في مقام الزّجرِ عن الكفر، ويؤيد ذلك القصدُ بتذييلِها بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا﴾[2].

حسنُ التّذييل في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدٗا﴾:

تأكيد كمال غنى الله عن خلقه واستحقاقه للمحامد سواء شكر النَّاس أم كفروا

1. أفادت جملة التّذييل ثبات اتّصاف اللّه بكونه غنيًّا حميدًا، وظهور آثار هذين الوصفين في النّاس.

2. ذُكِرَ هذان الوصفان الجليلان مقترنين هنا؛ للإيذان بأنَّ الذي له ما في السماوات وما في الأرض قادر على أن يغني كلَّ أحد من سعته، وأنّ مِن تمامِ غناه أنَّه تعالى كاملُ الأوصاف، وللإيذانِ

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 4/91.
(2) التحرير والتنوير: 5/220.

بأنه تعالى محمودٌ في ذاتِه حمِدوه أو لم يحْمَدوه؛ فلا يتضرَّر بكفرهم ومعاصيهم كما لا ينتفع بشكرهم وتقواهم، وإنما وصّاهم بالتقوى لرحمته لا لحاجته، وهذا تمجيد لله تعالى، وتذكير بأنَّه رب العالمين[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإنذار والوصية:

الإنذار زجر وتخويف للغير، والوصية أعمُّ

الْإِنْذَار معناه التَّخويف في الإبلاغ، وأَصل الإنذار الإعلام. يُقَالُ: أَنذَرْتُه أُنْذِرُه إِنْذارًا إذا أَعلَمته، فأَنا مُنْذِر ونَذير أَي مُعْلِم ومُخوِّف ومُحذِّر[2]، فالإنذار لا يكون إلا بالزَّجر عن القبيح وما يعتقد المنذر قبحه، ولا يكون إلا من المرء لغيره وتكون الوصية منه لنفسه ولغيره، فيقال: أوصيت نفسي كما يقال: أوصيت غيري، ولا يقال: أنذرت نفسي، والوصية تكون بالحسن والقبيح؛ لأنه يجوز أن يوصي الرَّجلُ الرَّجل بفعل القَبيح كما يوصي بفعل الحسن، ولا يجوز أن ينذره إلا فيما هو قبيح، كما أن النَّذارة نقيض البشارة وليست الوصية نقيضة البشارة[3].

(1) أبو السعود، إرشاد العَقْل السّليم: 2/241، وابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 5/220.
(2) ابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (نذر).
(3) العسكريّ، الفروق اللُّغوية، ص: 78.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»